



الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بعظمته وكماله وجلاله، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله ﷺ وعلى آله وأصحابه الكرام، أما بعد.

فإن الإيمان بالله - أى بالذات الغيبية العلوية القاهرة الجديرة بالطاعة والعبادة - هو روح الإسلام وأصل عقائده كلها، كما بينه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. فالقرآن حين يتحدث عن أركان الإيمان ومتعلقاته يجعل الإيمان بالله أولها وأصلها كما في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله: ﴿ يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَالَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]. والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول في حديث جبريل المشهور حين سألته عن الإيمان. قال: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره »^(١).

فالإيمان بالله هو الأصل، وكل أركان العقيدة الأخرى مضافة إليه وتابعة له؛ ذلك لأنه لا يتصور أن يؤمن أحد بالرسول إلا بعد الإيمان بالمرسل سبحانه، ولا بالجزء والحساب إلا بعد الإيمان بالمجازى والمحاسب ﷺ، وكذلك سائر أركان الإيمان التى تضمنتها الآيات السابقة.

والإيمان بالله، يتضمن الإيمان بوجوده بالضرورة، والإيمان بوحدانيته في ربوبيته وألوهيته، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا التى يتجلّى فيها اتصافه

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان .

بكل كمال يليق به، وتنزهه عن كل نقص، فكما أن الإيمان بالله تعالى هو جوهر العقائد الإسلامية فإن توحيد الله تعالى هو جوهر الإيمان بالله.

وقد أوجز رسول الله ﷺ ما يجب الإيمان به من العقائد الإسلامية في الحديث الذى يرويه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن «عيسى» عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى «مريم» وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل ». فى هذا الحديث جمع ﷺ أصول العقائد التى بها النجاة فى الآخرة. فإن العقائد على كثرتها فى كتب التوحيد ترجع إلى أربعة مقاصد، وهى:

١- معرفة الله تعالى وتوحيده (توحيد الربوبية - الألوهية - توحيد الأسماء والصفات).

٢- الإيمان بالرسول، والملائكة، والكتب، والتكاليف.

٣- الإيمان باليوم الآخر، والبعث، والحساب، والجزاء، والصراط، والجنة، والنار.

٤- الإيمان بالقدر خيره، وشره.

وعندما نرصد مفهوم العقيدة وسماتها فى الإسلام، فإن هنالك نقاطا يجب أن لا تغيب عن أذهاننا كلما تحدثنا عن هذه العقيدة، وهى:

١- ربانية هذه العقيدة، وهى المنهاج الأخير للحياة البشرية إلى يوم الدين.

٢- أن هذه العقيدة التى يقام عليها صرح الشريعة هى فقط التى تكفل سعادة الإنسان فى الدارين.

٣- وهى - وحدها - التى تجمع بين الروح والجسد فى نظام الإنسان، والأرض والسماء فى نظام الكون، وبين العبادة والعمل فى نظام الدين.

٤- أن الأعمال كلها والتصرفات جميعها مبنية على العقيدة، وهى انعكاسات لها.

٥- كل عمل لا يرتبط بالعقيدة فلا وزن له ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ^ط أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ^ط لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

هذه الأمور الخمسة هي المنارة الهادية لكل من أراد النجاة من الشقاء، ولمن أراد الطمأنينة والسلامة والسعادة.

ومن أجل أهمية العقيدة: فقد أفرد لها رب العزة مساحة واسعة من كتابه، وأعطاهها فترة طويلة حتى تستقر في الأعماق وتعيش مع النفوس، فالفترة المكية كلها تقريبا لا تكاد تخرج بنصوصها عن هذه القضية الكبرى، ولا تناقش إلا هذا الموضوع، وذلك لأن بناء النفوس بالعقيدة عملية بطيئة شاقة، قد يحتاج هذا العمل مدة توازي نمو الجسم نفسه ﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وكذلك فإن استقرار العقيدة في الأفئدة يتوقف عليه تنفيذ جميع التشريعات، ومن هنا تأخر نزول التشريع إلى المدينة حتى تستقر العقيدة في نفوس الصحب الكرام الذين جعلهم الله ستارا لدينه، ونصر هذا الدين على أيديهم.

وكذلك فإن العقيدة تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، وما لم تكن الجذور ضاربة في أعماق الأرض فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة، فالعمل الصالح لا بد له من إيمان متمكن في جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد.

وكذلك فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لا بد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة؛ حتى يستقر فوقها البناء.

ومن أجل أهمية العقيدة وحساسية موضوعها وجوهريتها: فقد كانت معظم نصوص العقيدة في القرآن بكلمة « قل » التلقينية، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وهذه العقيدة لها تجلياتها النورانية العظيمة، وانعكاساتها في سلوك المسلم، وحياة المجتمع؛ مما يمكن إبرازه فيما يلي:

أولاً: أنها يهdy بها الله من اتبع رضوانه سبل السلام، أى: أن من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالإيمان بهذا النور يهديه - هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة - الطرق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل ما يرديه ويشقيه، فيقوم في الدنيا

بحقوق الله تعالى، وحقوق نفسه الروحية والجسدية، وحقوق الناس، فيكون متمتعاً بالطيبات، مجتنباً للخبائث، تقياً مخلصاً، صالحاً مصلحاً، ويكون في الآخرة سعيداً منعماً، جامعاً بين النعيم الجسدى، والنعيم الروحى العقى.

ثانياً: أن من يتبع هذه العقيدة يجد فيها جميع الطرق الموصلة إلى ما تسلم به النفس من شقاء الدنيا والآخرة؛ لأنه دين السلام، والإخلاص لله ولعباده، دين المساواة والعدل، والإحسان والفضل.

ثالثاً: الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق المؤدى إلى القصد والغاية من الدين فى أقرب وقت؛ لأنه طريق لا عوج فيه ولا انحراف، فىسلم سالكه ولا يضل فى سيره، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح، الذى تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة فى تزكية الأنفس وإصلاح القلوب، وإحسان الأعمال، وثمره ذلك سعادة الدنيا والآخرة، بحسب سنن الله فى خلق الإنسان.

وأبو شريح الخزاعى، يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟. قالوا: بلى..

قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً»^(١).

وعن أبى الأحوص، عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن هو جبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه»^(٢).

رابعاً: استقامة الخلق والقصد، لا يكون لهم هوى غير أمر الله، وأمر رسوله ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله، ولا يكون لهم خيرة إذا قضى الله ورسوله أمراً، وبذلك يوحدون

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير.

(٢) رواه الدارمى فى سننه.

نهجهم، ويوحدون هدفهم، ويوحدون طريقتهم، فلا تفرق بهم السبل، عن الطريق الواحد الواصل المستقيم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيّ، وللمتزاورين فيّ، وللمتباذلين فيّ» ^(١).

خامساً: الأخوة الإيمانية: لقد كان من مستلزمات إلغاء الفوارق العرقية، والعنصرية، والإقليمية، والطبقية، التي نادى بها الإسلام، أن أعلن الأخوة الإيمانية بين جميع المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠]، وبذلك غدا المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وكل عرق ولون ولغة: أسرة إسلامية واحدة تربط ما بين أعضائها العقيدة الواحدة، والتشريع الواحد.

ولقد نبه القرآن الكريم الرسول ﷺ وأمته من بعده، إلى خطورة الفُرقة، وخطر المفرقين، الذين فرقوا دينهم مللاً ومذاهب، فتمزقوا شيعاً وأحزاباً، يضرب بعضهم رقاب بعض، فضلوا عن سواء السبيل، مما أفسدوا به دين الله - تعالى - ودنيا الناس. ويعد انفصلاً عن الدين وكفرًا به، الأمر الذي يبرأ منه الرسول الكريم محمد ﷺ وتبرأ منه أمة التوحيد والوحدة، حتى تلقى الله بوجه مشرق، وصفحة نقية، على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

كما أن العقيدة تغرس معاني الكرامة والعزة في قلب المؤمن باعتباره إنساناً يشعر بمعانٍ أعمق، وعزة أشمخ، ويسمو به إيمانه إلى سماء عالية لا يسعى إليها على قدم ولا يطار به على جناح.

(١) رواه مالك، في الموطأ.

وهو بوصفه عضواً في أمة الإيمان - يشعر بكرامة أكبر وعزة أفضل ﴿ كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

يشعر المؤمن بالعزة التي سجلها الله في كتابه للمؤمنين مقرونة بالعزة لنفسه ولرسوله، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] .

ويشعر بأنه كتب له الكرامة والحرية التي بها يعلو ولا يعلو، ويسود ولا يساد ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] .

ويشعر أنه في ولاية الله البر الكريم، ولاية المعونة والنصرة، والرعاية والهداية ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] .

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطُّغَيَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

ويشعر المؤمن أنه في معية الله الذي يكلؤه دوماً بعينه التي لا تنام، ويجرسه في كنفه الذي لا يرام، ويمده بنصره الذي لا يقهر: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩] . ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] . ﴿ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣] .

ويشعر المؤمن أنه في حماية الله القوى القدير، يذود عنه، ويرد عن صدره سهام الكائدين والمعتدين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] .

والقرآن يجعل المؤمنين مقياساً لصلاح الأعمال أو فسادها، فحكمهم عند الله معتبر، ورؤيتهم للأعمال مقرونة برؤية الله ورسوله ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

وإذا كانت هذه الآية توحى بأن رضا المؤمنين من رضا الله، فإن مقتهم - أيضا - من مقت الله سبحانه: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [غافر: ٣٥].

وإن هذه المعانى الكبيرة، والمشاعر الرفيعة، إذا سرت فى كيان فرد، جعلت منه إنساناً عزيزاً كريماً، كبير النفس، كبير الآمال، إنساناً لا يحنى رأسه لمخلوق، ولا يطأطئ رقبته لجبروت، أو طغيان أو مال أو جاه، شعاره هذه الكلمة: « سيد فى الكون، عبد الله وحده ».

لا عجب بعد هذا، إذا رأينا عبداً أسود مثل بلال بن رباح، حين يشرب قلبه إيماناً، يتيه على "السادة" المتكبرين فخراً، ويرفع رأسه عالياً، فقد صار بالإيمان أرفع عند الله ذكراً، وأسمى مقاماً، ينظر إلى أمية بن خلف وأبى جهل بن هشام وغيرهما من زعماء قريش وصناديد مكة، نظرة البصير للأعمى، نظرة السائر فى النور إلى المتخبط فى الدجى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ﴿ أَفَمَنْ يَمْشَى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشَى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

ولا غرو بعد ذلك إذا رأينا أعرابياً آمياً من البداة الجفاة، مثل ربعى بن عامر حين باشرت قلبه عقيدة الإسلام، وأضاءت فكره آيات القرآن، يقف أمام رستم قائد قواد الفرس، وهو فى هيله وهليمانه، وأبهته وسلطانته، غير مكثرت له: ولا عابئ به، وبها حوله من خدم وحشم، وما يتوهج بجواره من فضة وذهب، حتى إذا سألته رستم: من أنتم؟ أجابه هذا الأعرابى فى عزة مؤمنة، وإيمان عزيز، إجابة خلدها التاريخ، قال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى هدى الإسلام.

ولا عجب أن تقرأ لشاعر مؤمن يناجى ربه فى عبودية عزيزة بالله، متذلة إليه، غنية بالله، فقيرة إليه، قائلاً:

ومما زادنى شرفاً وعزاً	وكدت بأخصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك "يا عبادى"	وأن صيرت أحمداً لى نبيا !

قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه مدارج السالكين :

« في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله .

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله .

وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته .

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والقرار إليه .

وفيه نيران حشرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه .

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً » .

وهذا الإيمان البسيط العميق الذي جاء به الوحي، وأيده العقل، واقتضته الفطرة، وشهد له كل سطر، بل كل كلمة في كتاب الوجود المفتوح - سلم المؤمن من الشك والاضطراب، واستراح من البلبلة والحيرة، الذهنية والنفسية .

بهذا الإيمان الواضح، حل المؤمن ألباس الوجود الكبرى، حين عرف مبدأه ومصيره، وغايته ومهمته، بل عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه وغايته وهدفه: فانحلت عقد الشك من نفسه؛ وزالت علامات الاستفهام الكبيرة من حياته .

لقد عرف أن له ربا؛ وهو رب كل شيء؛ هو الذي خلقه فسواه؛ وكرمه وفضله؛ وجعله في الأرض خليفة؛ وكفل له رزقه، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فاطمأن إلى ربه، ولاذ بجواره، واعتصم بحبله، فأوى بهذا الإيمان إلى ركن شديد، ولاذ بقرار مكين، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

وعرف المؤمن أنه لم يخلق في هذه الحياة عبثا، ولم يترك سدى، فبعث الله إليه رسله بالبينات، هداة ومعلمين، مبشرين ومنذرين؛ ليهتدى الناس إلى الحق، ويستبينوا معالم الطريق، ويعرفوا ما يرضى الله فيتبعوه، وما يسخطه فيتقوه وليقيموا

بين الناس موازين القسط، ويحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، وليكون أمثلة رفيعة يتخذها الناس أسوة حسنة لصالح الأعمال، ومكارم الأخلاق.

عرف المؤمن أنه ليس غريباً على الكون الكبير من حوله، ولا معزولاً عنه، إنه بإيمانه لم يعد وحده. إن الكون كله معه، فنظرة هذا الكون هي الإيمان. هي التسبيح والسجود للأعلى، الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

إن هذه المكاسب الهائلة التى غنمها المؤمن، وجنى ثمارها، وقطوفها الدانية، لا يقدرها حق قدرها إلا من حُرّمها، أو تأمل بعين بصيرته حال من حُرّمها.

فالجاحدون بالله، أو المرتابون فيه، وفى لقاءه يوم الحساب يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى، حياة كلها قلق وحيرة، كلها علامات استفهام، كلها أسئلة لا تجد لها عندهم جواباً.

إنهم لا يوقنون بشيء يطمئنون إليه، ويستريحون له فى قضية وجودهم أنفسهم، ووجود الكون كله من حولهم؛ من أين جاءوا؟ ومن جاء بهم؟ ولماذا جاء بهم؟ وإلى أين يذهبون بعد هذه الرحلة القصيرة، التى لم يفهموا لها سرّاً، ولم يعرفوا لها غاية؟ وما هذا الكون؟ وما مبدؤه؟ وما غايته؟ وما علاقتهم به؟.

إن عقولهم المحدودة لا تستطيع أن تحيىهم إجابة تشفى الصدور، وتمحو بنورها ظلمات الشك والحيرة والاضطراب. ربما يهتدون فى يوم إلى جواب عن هذه الأسئلة الحائرة المحيرة، ثم يعودون فى اليوم الثانى فينقضون ما أبرموا، ويحلون ما عقدوا، ويتبرأون مما قالوا ولا يثبتون على قرار، ولا يستقرون على فكرة، ولا يدومون على وجهة أو طريق.

كريشة فى مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

ومن آثار العقيدة الصحيحة أن يعيش المؤمن روح العبودية لله وحده، والإيمان به وحده ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصفات: ١١١].

العبودية لله تعنى: التحرر من التبعية لكل من سواه وما سواه، فلا خضوع لمخلوق فى الأرض أو فى السماء. حتى الشيطان الوسواس الخناس ليس له سبيل على عباد الله ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥].

والعبودية لله تعنى: الانقياد لحكمة سبحانه، ومع رضا الناس، وتسليم القلب، دون أدنى حرج أو ارتياب؛ لثقته بأن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، وأنه تعالى أرحم به من أمه وأبيه، وأنه سبحانه أعلم بما يصلحه ويزكيه.

والمؤمن الصادق هو الذى عرف هذه العبودية حقها، فوجهه الذى فطر السماوات والأرض حنيفاً، وحطم الأصنام كلها من قلبه، ورفض الطواغيت كلها من حياته، ولم يرض غير الله ربا، ولم يتخذ غير الله وليا؛ ولم يبتغ غير الله حكما؛ اتضحت لعين بصيرته الوجهة واستقام أمامها الطريق؛ لا لبس ولا غموض؛ ولا عوج ولا أمت ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٩﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٠﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ [الأنعام: ١٦١-١٦٤].

وبهذا الاتجاه الواضح انحلت العقد فى نفس المؤمن وفى حياته، فقد عرف الطريق فسلكها على بصيرة، غير هباب ولا متردد، ولا قلق ولا مرتاب؛ طريق الرجوع إلى أمر الله، والاستسلام الكامل لحكم الله، واليقين بأن خيرة الدنيا والآخرة فى اتباعه ﷺ والرضى به ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

إن شعور المؤمن بأن يد الله في يده، وأن عنايته تسير بجانبه، وأنه ملحوظ بعينه التي لا تنام، وأنه معه حيث كان، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج.

كيف يشعر بالوحدة من يقرأ في كتاب ربه ﴿وَلِلَّهِ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ فَأَيُّمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٥]. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]؟ إنه لا يشعر إلا بما شعر به موسى عليه السلام حين قال لبنى إسرائيل: ﴿إِنَّمَا مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وما شعر به سيدنا محمد ﷺ في الغار حين قال لصاحبه ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

إن شعور المؤمن بمعية الله وصحبته دائماً يجعله في أنس دائم بربه، ونعيم موصول بقربه، يحس أبداً بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة وغربة واغتراب.

بين مفهوم الإيمان وأثره، وبين رابط العقيدة وفاعليتها، وبين تأثير العقيدة في سلوكنا وحياتنا تأتي هذه الرؤية الإيمانية (العقيدة والسلوك، والانفصام بينهما).

وقد حرصنا من خلال مادة هذا الكتاب على إبراز فاعلية العقيدة والإيمان، وعلى ضرورة تحقيق الربط بين العقيدة والسلوك؛ وبين الإيمان والتطبيق، وأبرزنا خطورة الانفصام بينهما، وذلك على النحو التالي:

تناول الفصل الأول (مدخل إلى العقيدة والإيمان) ثمانية مباحث، بدأت ببيان مفهوم العقيدة، ثم بيان حاجة الإنسان إلى العقيدة الصحيحة، ومزايا العقيدة الإسلامية وخصائصها، ومقتضيات العقيدة الصحيحة، والمفهوم الشامل للإيمان، وبيان حقيقة الإيمان، وإبراز علاقة الإيمان بالعمل، والخلوص إلى ثمرات الإيمان الصحيح.

وتحول الفصل الثاني إلى الجانب التطبيقي من خلال (أثر الإيمان في حياة المسلم وسلوكه) وذلك من خلال اثني عشر مبحثاً (المسلم وسلوكه)، وبدأت ببيان علاقة الإيمان بشخصية المسلم، وأثر الإيمان في جانب العبادة، وذكر الله، وتلاوة

القرآن، وبيان أثر الإيمان في تحقيق سعادة المسلم، والإيمان وأثره في حب المسلم لربه والناس، وتبع ذلك إبراز أثر الإيمان في تحقيق الرضا لدى مسلم، وأثر الإيمان في الصوم عن المعاصي، والإيمان والشوق إلى الكعبة المشرفة، وأثر الإيمان في أداء حق الله في المال، ثم استتبع ذلك إبراز أثر الإيمان في الجانب الأخلاقي من خلال (الصدق - أداء الأمانة - العفو - الصبر)، ثم الإيمان ودوره في تفكير المسلم في ملكوت الله، وفي تحقيق الأمن النفسي، وختامًا بدور الإيمان في إيجاد الأمل لدى المسلم.

والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويثقل به موازيننا، ويرفع به درجاتنا في أعلى عليين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد عبده عوض

شعبان ١٤٢٩هـ